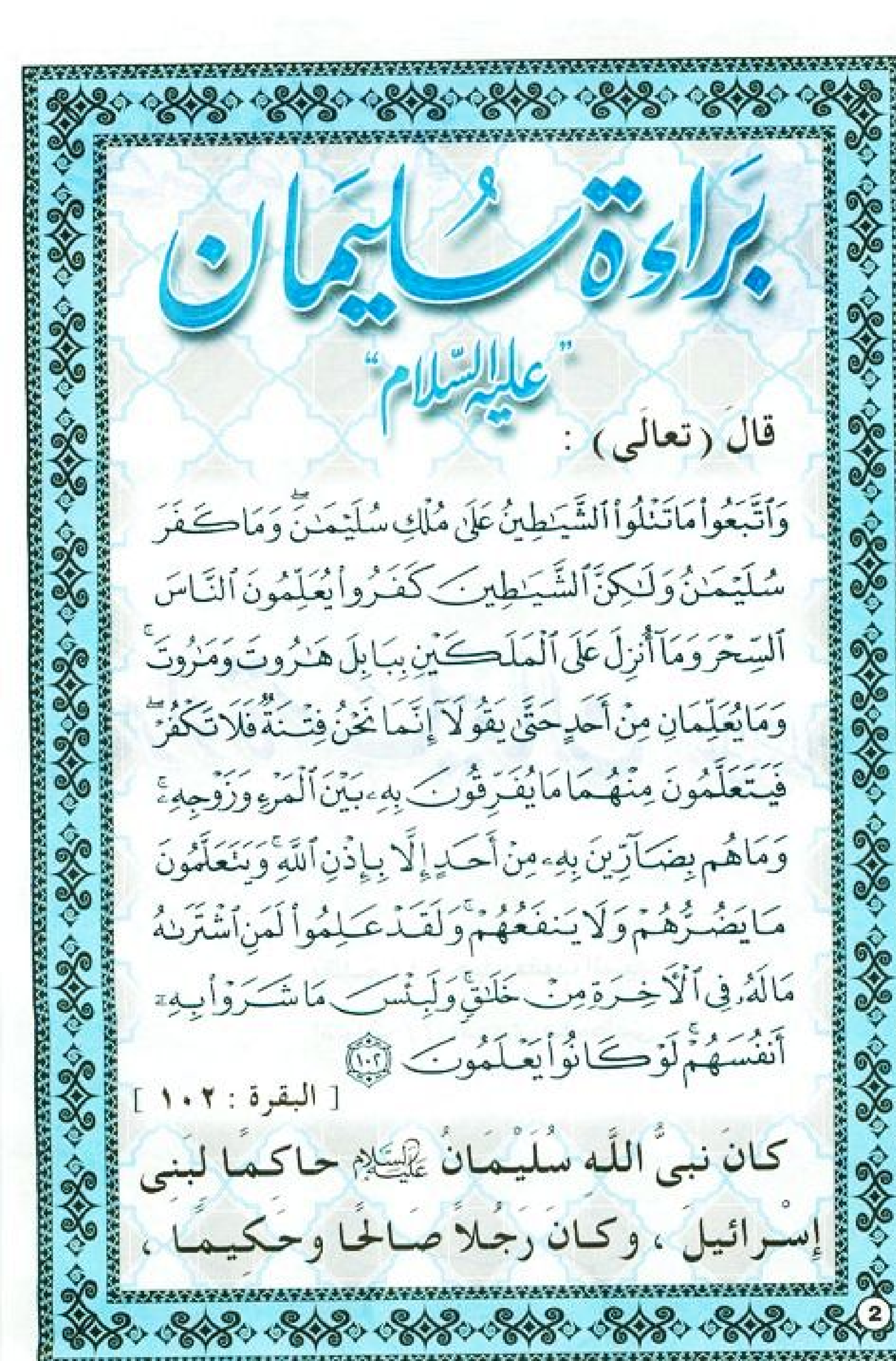
قصة آية

5

براءة سليمان "عليه السلام"

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



براءة سليمان

"عليه السلام"

قال (تعالى) :

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ
وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

[البقرة : ١٠٢]

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عليه السلام حَاكِمًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا وَحَكِيمًا ،

يَصُومُ بالنَّهارِ ويقُومُ باللَّيْلِ . قالَ عنهُ ربُّ الْعِزَّةِ :

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾

[ص : ٣٠]

وقالَ عنه :

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ
ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ
مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ
مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ
رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾

[سبأ : ١٢ـ١٣]

فقدْ سَخَّرَ اللَّهُ لسليمانَ عليه السلام الرِّيحَ تجْرِى بأمْرِه حيثُ يشاءُ ، كما سَخَّرَ له الْجِنَّ والإِنْسَ والطَّيْرَ وسائرَ الْكائناتِ لكَى تكونَ فى خدْمته .

وَلَمْ يُسِئْ سُلَيْمَانُ عليه السلام التَّصَرُّفَ فِى اسْتِخْدَامِ هذه الْمُعْجِزَات التى أَعْطَاهُ اللَّهُ (تَعَالَى) إِيَّاهَا ، بَلْ تَصَرَّفَ بِحِكْمَةٍ وَعِلْمٍ بما يَنْفَعُ النَّاسَ ، لأَنَه كَانَ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَ اللَّهَ (تَعَالَى) هو الَّذِى سَخَّرَ له كُلَّ هذه الْمُعْجِزَاتِ ، فكانت الْجِنُّ تَبْنِى له الْمَعَابِدَ وَمَحَارِيبَ العِبَادَةِ وَالْقُصُورَ الْفَخْمَةَ وَالْمَبَانِيَ الشَّاهقة .

وَأَنْعَمَ اللَّهُ (تعالَى) على سُلَيْمَانَ عليه السلام فَأَعْطَاهُ مُعْجِزَةً أُخْرَى ، حَيْثُ كَانَ قَادِرًا على أَنْ يَفْهَمَ لُغَةَ الطَّيْرِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْحَشَرَاتِ .

وَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ذلك فى سُورَةِ النَّمْلِ .

قال (تعالى) :

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾
حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟
مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا
تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

[النمل : ١٧ ـ ١٩]

وَلِهذه الآية الْكَرِيمة قِصَّةٌ طَرِيفَةٌ يجب أَنْ نتوقَّفَ عندَها كثيرًا لنأْخُذَ منها الْعِبْرَةَ .

فَقد انْتَشَرَ السِّحْرُ على أَيَّامِ سُلَيْمَانَ عليه السلام على نِطَاقٍ واسِعٍ ، واسْتَغَلَّ النَّاسُ ذلك فى إِيذاءِ بَعْضِهِم بعضًا .

ولَمَّا عَلِمَ نبىُّ اللَّهِ سُلَيْمَانُ عليه السلام بذلك جَمَعَ كُتُبَ السِّحْرِ والأَوْراقَ التى يَتَداوَلُها

هَؤلاءِ السَّحرةُ ودفَنَها فى مكَانٍ ما ، حتَّى لا يَنْتَشرَ السِّحْرُ بين النَّاسِ على نطاقٍ أَوْسع من ذلك تمْهيداً للتَّخلُّصِ منْها حين يكونُ الْوَقْتُ مُناسبا .

وأَحْضَرَ سُلَيمانُ عليه السلام كَاتبَ سرِّه وأَخذ يُمْلِى عليه التَّعاليمَ الدِّينيَّةَ والوَصايَا الإلهِيَّةَ الصَّحيحةَ ، وعنْدَما انْتَهى من ذلك أَمَرهُ أَنْ يَدْفنَ هذه الْكُتُبَ فى الْمكَان الذى كَــان يُصلِّى فيـه ، حتَّى يَسْتَخْرجَها النَّاسُ فى وقْتٍ من الأَوْقَات ، فَيجدُوا فيها الْمنهج الصَّحيح الَّذى رسمَهُ اللَّهُ للنَّاس ، حتى لا يَظْلِمَ بعْضُهم بعْضا ، ولِكَىْ يعيشوا فى أَمانٍ واسْتقْرارٍ .

وشَـاءَت إرادةُ اللَّه أَنْ يمُـوتَ نبيُّ اللَّه سُلَيْمـانُ عليه السلام ، ومَاتَ مَنْ بَعْده العُلَماءُ الَّذينَ كَانوا يَعْرِفُونَ حقيقَةَ هذه الْكُتُب وتلْكَ الوَصَايا دُونَ أَنْ يتمكَّنوا مِنْ إظْهارِها للنُّورِ بِسبَب فسَادِ النَّاسِ واتِّبَاعِهِم لأَهْوائِهِمْ وشَهَواتِهِم .

وجَاءَ مِنْ بَعْد ذلكَ قَوْمٌ كَافرونَ باللَّه ، بَعِيدونَ عَنْ منْهَجِ اللَّه (تعَالَى) ، يتَّبِعُونَ الشَّيْطانَ فى كُلِّ ما يَأْمُرُهُم به . جَاءَهُمُ الشَّيْطانُ ذاتَ يومٍ على شَكْلِ إنْسانٍ وتظَاهَرَ لهُم بالنُّصْح قَائلاً :

ـ هلْ أَدُلُّكُمْ على كَنْزٍ لا يَنْتَهى أبَداً ؟

فقالُوا فى لَهْفَةٍ شَديدَةٍ :

ـ نعَمْ .

فقالَ لهم :

ـ إذَنْ فَاحفُروا تحتَ هذا الكُرْسىِّ ، فسوْفَ تعْـثـرُونَ على الكُتُب والأوْراق الَّتى كـانَ سُلَيْمانُ يحكُمُ بها العَالَمَ ، ويُسخِّرُ الْجنَّ والإنْسَ والشَّياطينَ وكُلَّ الْكائنَاتَ .

لمْ يُصَدِّق النَّاسُ أَنْفُسَهم من الْفَرْحة ، وقالوا وهمْ يستعدُّونَ للْبَحْث عن هذا الْكَنْز الدَّفين :

ـ لقدْ عرفْنا الآنَ كيْفَ كانَ سُلَيْمانُ عليه السلام يسخِّرُ الْجنَّ والإنْسَ والشَّياطينَ ، وأَضافوا :

ـ وسوْفَ نعْكُفُ علَى دراسة هذه الكُتُب حتَّى يتَهيَّأَ لنا ما تَهيَّأَ لسُلَيمانَ عليه السلام .

وخَرجُوا جَميعًا إلى الْمكانَ الَّذى دلَّهُم علَيْه الشَّيْطانُ ، ورَاحُوا يحْفُرونَ بجدِّيَّة وتصْميمٍ . وبعْدَ وقْت غير قصيرٍ ومُعاناة

حَقِيقِيَّةٍ عَثَرَ هؤُلاءِ النَّاسُ عَلَى كُتُبِ السِّحْرِ الَّتِى أَخْفَاهَا سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى لا يَتَعَلَّمَهَا النَّاسُ ، وَيَكُونَ ذَلِكَ سَبَبًا فِى هَلاكِهِمْ .

وَعِنْدَئِذٍ قَالَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ :

ـ إِنَّ سُلَيْمَانَ كَانَ يَتَحَكَّمُ فِى الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالرِّيحِ وَالطَّيْرِ عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْكُتُبِ ، فَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تُسَخِّرُوهَا كَمَا فَعَلَ ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَتَعَلَّمُوا هَذِهِ الْكُتُبَ وَتُعَلِّمُوا مَا فِيهَا لِكُلِّ النَّاسِ .

وَانْطَلَقَ الشَّيْطَانُ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ بَعْدَ أَنْ نَجَحَ فِى تَحْوِيلِ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَنْ دِينِ اللَّهِ (تَعَالَى) إِلَى كُتُبِ السِّحْرِ وَالشَّعْوَذَةِ .

وَعَكَفَ النَّاسُ عَلَى دِرَاسَةِ هَذِهِ الْكُتُبِ وَتَعْلِيمِهَا عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ ، وَعِنْدَمَا كَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَنْصَحُونَهُمْ بِتَرْكِ السِّحْرِ لأَنَّهُ إِشْرَاكٌ

بِاللَّهِ كانوا يقُولونَ فِى بجاحة :

ـ وكَيْفَ لا نتعلَّمُ السِّحرَ ، وقَدْ كانَ نَبِىُّ اللَّهِ سُلَيمانُ عليه السلام ساحرًا ، وهذه هى كُتُبُهُ الَّتى تركَها لنا وأمرَنا بأَنْ نَتعلَّمَها ونتدارسَها .

فَيقولُ الْعُلَماءُ :

ـ حَاشا لِنَبِىِّ اللَّهِ سُلَيمانَ عليه السلام أَنْ يكونَ ساحرًا ، فقَدْ آتاهُ اللَّهُ الْمعجزاتِ التى تَدُلُّ علَى قُدرَتِهِ وعظَمتِهِ ، وما نَراكُمْ إلاَّ فى ضَلالٍ مُبِينٍ .

ولَمْ يَسْتَطِعِ الْعُلَمَاءُ أَنْ يُقنِعُوا بَنى إِسْرائيلَ ، فَقَدِ استحْوذَ عليْهمُ الشَّيْطانُ وزيَّنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمالِهِمْ وصدَّهُمْ عَنِ الصِّراطِ الْمُسْتَقيم .

وتتابعَتِ الأَجْيالُ والأُمَمُ ، وظَلَّ السِّحرُ

يَنْتَشِرُ من جيلٍ إلى جيلٍ ، وظَلَّت التُّهمةُ الشَّنْعاءُ مُلْتصقةً بنبيِّ اللَّه سُليمانَ عليه السلام ، وهيَ الزَّعْمُ بأنَّه كانَ ساحِراً ، وأنَّهُ هو الَّذي عَلَّمَ النَّاسَ السِّحْرَ .

ولَمْ تَظْهَرْ براءةُ سُلَيْمانَ عليه السلام إلا في ظلِّ الإِسْلامِ وبعْدَ موتِه بقُرُونٍ طَويلَةٍ . فقد تحدَّثَ القُرآنُ عنهُ ونفَى عَنْهُ التُّهَمَ الْباطلَةَ وأَثْبَتَ لهُ النُّبُوَّةَ والرِّسالةَ . وذكرَ مُحمَّدٌ صلى الله عليه وسلم نبيَّ اللَّه سُلَيْمانَ عليه السلام بالْخَيْرِ والإِنْصافِ ، فلمَّا سَمِعَ الْيَهودُ بذلكَ قالوا :

ـ يزْعُمُ محمَّدٌ أنَّ سُلَيْمانَ بن داوُدَ كانَ نبيًّا .

ولَمْ يَتَمالَكُوا أَنْفُسَهُم مِنَ الضَّحكِ فقالُوا في سُخْرِيَةٍ :

ـ والله ما كان نبيا ، فما هو إلا ساحر .

وعندئذ أنزل الله (تعالى) من فوق سبع سماوات إظهار براءة سليمان عليه السلام ، فقال (تعالى) :

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾

وبذلك رد القرآن لسليمان عليه السلام اعتباره ، ونفى عنه هذه التهمة الشنيعة ، فأنبياء الله هم صفوة خلقه الذين اصطفاهم بعلمه وأرسلهم لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، فحاشا لهم أن ينحرفوا عن منهج الله أو يبتدعوا فى دين الله .

وفى هذه الآية الكريمة يشير الله (تعالى) إلى أن الناس منذ زمن سليمان عليه السلام وهم يؤمنون بالحكايات والخرافات التى

تَرَوَّجُهَا الشَّيَاطِينُ عَنْ مُلْكِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَيَنْفِي اللَّهُ صَرَاحَةً السِّحْرَ عَنْ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأَنَّ السِّحْرَ هُوَ عَيْنُ الْكُفْرِ ، وَلَا يَصِحُّ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي الاعْتِقَادِ أَنْ يَكْفُرَ نَبِيُّ اللَّهِ أَوْ يُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا .

وَيُحَذِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ مِنَ السِّحْرِ وَالسَّحَرَةِ ، فَطَرِيقُ السِّحْرِ هُوَ طَرِيقُ الْكُفْرِ وَالشَّرِّ ، حَيْثُ يَسْتَخْدِمُهُ السَّحَرَةُ لإِيذَاءِ النَّاسِ نَفْسِيًّا وَبَدَنِيًّا ، وَهُمْ يُسَخِّرُونَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينَ لِذَلِكَ مُقَابِلَ كُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَإِفْسَادِهِمْ فِي الأَرْضِ .

عَلَى أَنَّ هُنَاكَ حَقِيقَةً مُهِمَّةً لَا يَجِبُ أَنْ تَغِيبَ عَنِ الأَذْهَانِ ، فَإِنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) يُؤَكِّدُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا أَنَّ النَّفْعَ وَالضَّرَّ بِيَدِ اللَّهِ ، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ أَنْ يَنْفَعَ أَوْ يَضُرَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (تَعَالَى) .

يقولُ (تعالى) :

﴿ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾

ولذلكَ حرَصَ النَّبىُّ ﷺ على توْصيلِ هذا الْمَعنَى لكلِّ الْمُسْلمين ، وذلكَ منْ خلالِ نَصيحته لابْنِ عمِّه عبْدَ اللَّه بْن عبَّاسٍ ، إذْ أَكَّدَ لهُ أَنَّ النَّفْعَ والضَّرَّ بيَد اللَّه (تعالَى) وحْدَهُ ، ولا يملكُ إنسانٌ مهما كانَتْ قُوَّتُه أَنْ يَنْفعَ أوْ يَضرَّ إلَّا بإِذْن اللَّه .

قال ﷺ :

« واعْلمْ أَنَّ الأُمَّةَ لو اجْتمعُوا علَى أَنْ يَنْفعُوكَ بشَيْءٍ لم ينْفعُوكَ إلَّا بشيْءٍ قَدْ كتَبهُ اللَّهُ لكَ ، ولو اجتمعُوا على أَنْ يَضرُّوكَ بشيْءٍ لمْ يَضرُّوكَ إلَّا بشَيْءٍ قَدْ كَتبهُ اللَّهُ عليْكَ ، طَويَتِ الأَقْلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ » .

إِنَّ الْمسلم حين يؤْمن بـذلك يكونُ واثقًا من نَفْسه ، لا يخافُ من غَده الْمجهول ولا يَخَافُ ممَّنْ حَـولَهُ ، لأَنَّه يُوقن أَنَّ اللَّه (تعـالَى) هو النَّافعُ الضَّـارُّ الَّذى لا يتمُّ شىْءٌ فى مُلْكه إلا من بعْد إذْنه .

ولَعلَّ الشَّـىْء الْمُهمَّ الَّذى نَخْرُجُ به من هذه الآية الْكَريمة هو أَنَّ الْقـــرآنَ الْكَريم هو الْوَثيقَـةُ الْوَحيدَةُ الَّتى أَنْصَفتْ كُلَّ الأَنْبياء واعْتَـرفَتْ برسالاتهمْ ، فالقُرآنُ اعْـتَرف بعيسى ومُوسى ويعْقُوب وسُلَيْمانَ وداود وغيرهم من الأَنْبياء عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ .

ولذلكَ فإنَّ القرآنَ الْكريمَ يجبُ أَنْ يكونَ مَصْدرَنا الْوَحيدَ الصَّادق الَّذى نعْرفُ من خلاله حياةَ الأَنْبياء والأُمَمِ السَّابقَةَ لأَنَّه

كتابُ اللهِ الّذى لا يأْتيه الْباطلُ من بيْنِ يديْه ولاَ من خلْفه تنْزيلٌ من عزيزٍ حميد .

قالَ (تعالَى) :

لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

[يوسف : ١١١]

وقال (تعالى) :

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

[آل عمران : ٦٢، ٦٣]

اللَّهُمَّ إنَّا نُؤمنُ بكَ ونتوكَّلُ عليْكَ ، ونعُوذُ بكَ منَ الْكُفْرِ والسِّحْرِ ، ونتبرَّأُ إلَيْكَ من السَّحرَة وأعْمالهم ، ونؤمن بأنْبيائكَ الْكرامِ صفْوة خلْقكَ ، ونشْهدُ أنَّهم بلَّغوا الرِّسالَةَ وأدَّوا الأمانَةَ وجاهدُوا في سبيلكَ حقَّ الْجهاد . .

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧
الترقيم الدولي : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧